

التجديد المعرفي للمجتهد بين النص القرآني وطبيعة المسائل المعاصرة
The intellectual renewal of the scholar between the Qur'anic text
and the nature of contemporary issues

م. فاطمة عبد الكريم جليل
fatimaabd@uodiyala.edu.iq
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية

أ.د. / احمد عبود علوان
ahmed_alwan6@yahoo.com
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية

تاريخ قبول البحث: 2026 / 1 / 10

تاريخ استلام البحث: 2025 / 11 / 12

خلاصة

يتأثر واقعنا المعاصر بعدة متغيرات على جميع الأصعدة وخاصة بعد الهجوم المفاجئ للتكنولوجيا على حياتنا وسيطرتها وتأثيرها على مجالات واسعة من اعمالنا وافكارنا ومعاملاتنا، حتى أصبح من الصعب الاستغناء عنها او تهملها.

فمن الطبيعي ان تتأثر الأدلة الشرعية بهذه المتغيرات ومنها الاجتهاد وهذا التأثير يشمل الاجتهاد والمجتهد، لذا أصبح لزاما على فقهاء وعلماء الامة الإسلامية مواكبة هذه التجديد والتطور فلهذا جاء موضوع بحثنا أعلاه ليوضح آلية وطبيعة التجديد المعرفي للمجتهد والوقوف على أصل هذا التجديد في النص القرآني ليواكب طبيعة المسائل المعاصرة في أبواب الفقه الإسلامي جميعاً.

لذلك يقوم التجديد المعرفي للفقيه على تفعيل أدوات الفهم والاجتهاد من خلال النص القرآني والوعي بطبيعة المسائل المعاصرة، فالنص القرآني ثابت في الفاظه لكنه متجدد في دلالاته التطبيقية، والمسائل المعاصرة مركبة عابرة للتخصصات وسريعة التغير مما يستلزم رؤية واسعة وفهم للواقع الجديد وهذا ما نقصده من دراسة التجديد المعرفي للمجتهد.

الكلمات المفتاحية ((تجديد، مجتهد، معرفة، قرآن، مسائل))

summary

Our contemporary reality is affected by numerous variables on all levels, especially after the sudden onslaught of technology on our lives and its dominance and influence over vast areas of our work, thoughts, and transactions, to the point that it has become difficult to do without it or marginalize it.

It is natural that legal principles, including *ijtihad* (independent reasoning), are affected by these variables. This influence encompasses both the *ijtihad* itself and the *mujtahid* (one who practices *ijtihad*). Therefore, it has become imperative for the jurists and scholars of the Muslim community to keep pace with this renewal and development. Hence, the topic of our research above aims to clarify the mechanism and nature of the *mujtahid's* intellectual renewal and to examine the origin of this renewal in the Quranic text, in order to address the nature of contemporary issues across all areas of Islamic jurisprudence.

Therefore, the intellectual renewal of the jurist is based on activating the tools of understanding and *ijtihad* through the Quranic text and an awareness of the nature of contemporary issues. The Quranic text is fixed in its wording but renewed in its practical implications. Contemporary issues are complex, transcend specializations, and change rapidly, necessitating a broad vision and understanding of the new reality. This is what we mean by studying the intellectual renewal of the *mujtahid*.

Keywords: ((renewal, diligent, knowledge, Quran, issues))

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمداً وعلى آله واصحابه وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد

من القضايا المركزية في التشريع الإسلامي قضية التجديد المعرفي لعلاقته بين واقع الانسان المسلم في الوقت المعاصر، فالمتغيرات الخاصة الان تستوجب البحث والدراسة عن مفهوم وضوابط وتطبيقات التجديد المعرفي من خلال النص القرآني هذا من جانب، ومن زاوية أخرى تفرض علينا طبيعة المسائل المعاصر المعقدة في مضمونها والمتنوعة في طبيعتها اصبح لزاما علينا الخوض في فهم التجديد، فالقران الكريم بما يحتويه من شمولية وقيم لم يأتي ليعالج الوقائع الجزئية معالجة جامدة بل أسس لمنهج معرفي مرن ومتنوع وشامل يصلح للاستدلال به في كل العصور .

لذلك لا بد من ابراز دور المجتهد في قدرته على تجديد آليات الاجتهاد بما يتناسب مع المسائل المطروحة علميا واقتصاديا واجتماعيا، وان لا يتجاوز هذا التجديد المعرفي النص القرآني، والتجديد المعرفي بهذا السياق ليس خروجا عن الموروث التاريخي بل هو امتداد له لان التجديد له أصول ثابتة واسس تاريخية تحتاج إعادة فهمها بما يتوافق مع النص القرآني والواقع المعاصر .

لذا جاءت هذه الورقة البحثية لإبراز ولو شيء يسير عن مفهوم التجديد المعرفي من خلال النص القرآني وضوابط وأهمية هذا التجديد فكانت الخطة كالآتي:

المبحث الأول / معاني المفردات ويشمل:

المطلب الأول / التجديد المعرفي

المطلب الثاني / النص القرآني

المطلب الثالث / المسائل المعاصرة

المبحث الثاني / النصوص القرآنية المتضمنة التجديد المعرفي .

المطلب الاول: التجديد المعرفي في القرآن من خلال دعوة النص القرآني إلى التفكير والتدبر

المطلب الثاني: النصوص القرآنية الكاشفة عن البعد المقاصدي في التجديد المعرفي .

المبحث الثالث / أهمية التجديد المعرفي للمجتهد في المسائل المعاصرة .

المبحث الأول / معاني المفردات

قبل الخوض في سطور وكلمات مضمون هذه الدراسة لا بد من الوقوف على توضيح مختصر لبعض معاني المفردات والتي لا بد من معرفتها ليكتمل الغرض من الدراسة لذلك تم تقسيم هذا المبحث لثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول / التجديد المعرفي: هذا المصطلح مركب متكون من جزئين هما ((تجديد ، معرفي)) لذا ابد من تعريف كل مصطلح على جهة .

أولاً/ تجديد: جد الشيء يجد بالكسر جدة: صار جديداً، وهو نقيض الخلق، وجددت الشيء أجده بالضم جداً: قطعته، وثوبٌ جديد، وهو في معنى مجْدُودٍ، يراد به حين جَدَّه الحائك، أي قطعه¹، وتعني ايضاً جعل الشيء جديداً أو كأنه جديد مرة أخرى، سواء كان ذلك بإصلاحه وترميمه، أو استعادة قوته وحيويته، أو إبداع شيء جديد، أو استئناف أو تمديد شيء قديم مثل عقد أو إجازة، وتختلف حسب السياق، من مادي ك(تجديد منزل) إلى معنوي ك(تجديد الأفكار) أو (تجديد النشاط).

ثانياً/ معرفي/ عَرَفَ: عَرَفَ الشيءَ معرفةً وعِرْفَاناً. وأمر عارفٌ، معروفٌ، عريفٌ. والعرفُ: المعروف، أو هو إدراك الشيء وفهمه على حقيقته، ضد الجهل والنكرة، وتدل على السكون والطمأنينة للشيء، وتكون حصيلة التعلم والتجربة أو الاطلاع، وأصلها من "عَرَفَ"، وقد تستخدم بمعنى المجازة أو الشيء العالي والطيب. وتُشير أيضاً إلى الاسم العلم الذي يدل على شيء معين في النحو، مثل "الكتاب" أو "القلم"².

لذا يمكن توضيح معنى التجديد المعرفي كمركب لفظي بانه ((تجديد طريقة بحثنا وفهمنا للمعرفة وعدم الاكتفاء بتكرار الأفكار والقراءات القديمة للتراث والمعلومات باي تخصص كان، او تحديث للأفكار القديمة بأفكار جديدة تتناسب مع الواقع))

المطلب الثاني / النص القرآني: هو كلام إلهي مُنَزَّل، يتميز بتركيبه اللغوي الفريد، وتفسيره يتطلب منهجية شاملة تراعى فيها وحدة النص، وتماسكه، وانسجامه، من خلال دراسة العلاقات بين آياته وسوره وسياقات

¹ ، الصحاح تاج اللغة، الجوهري، ج2/ص454

² كتاب العين للفراهيدي / ج2/ص121

نزولها، واستخدام أدوات تحليلية لغوية وبلاغية لاستخلاص مقاصده الكلية، وهو يختلف عن "الخطاب القرآني" الذي يركز على التفاعل مع الواقع وتجديد الفهم .

المطلب الثالث/ المسائل المعاصرة: المسائل: ومفردتها مسألة، فإذا حذفوا الهمزة من مسائل قالوا مَسَلَّةً وتَسَاءلوا سأل بعضهم بعضاً، قال تعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبٌ) النساء ((1)) ومعناها تطلبون حقوقكم به، وسُميت بالمسائل لأنها تتناول قضايا مطلوبة، تطلب حلاً أو تطلب فتوى، وبعضهم يُسميها بالأسئلة لأنها أسئلة يطرحها الناس ويتكفل العلماء بالرد عليها، أما في المصطلح العرفي فهي مطلوب خبري يُبرهن عليه في العلم.

المعاصرة: مأخوذة من العصر وهو الدهر، فإذا ثقلوه قالوا: عُصِرَ مَضْمُوم، والعصران: الليل والنهار والعصر: العشي، ولذلك سُمِيَ الْعَدَاةُ وَالْعَشِي، والمقصود بالدهر هو العصر الحالي أو الوقت الحالي الذي نزلت وظهرت فيه الكثير من هذه المسائل والقضايا المستجدة التي تحتاج إلى حكم شرعي من العلماء والفقهاء عن طريق الاجتهاد الفردي والجماعي، بعد معرفة معنى كل مفردة على حدة يمكن القول إن المستجدات العصرية هي:

((الأحداث والمسائل الجديدة التي لم تكن موجودة في العصور القديمة، وقد ساعد في ظهور هذه المستجدات العصرية أسباب عديدة من تطور العلوم وتعدد الصناعات الحديثة)).

المبحث الثاني / النصوص القرآنية المتضمنة للتجديد المعرفي للمجتهد .

يكشف القرآن الكريم لنا بوضوح عن العلاقة الوثيقة بين العلم وهداية العلماء للتجديد والاستدلال بآيات القرآن الكريم في آيات كثيرة، وذلك بحديثه عن العلماء واستعدادهم بما لهم من علم لتجديد الأحكام الفقهية بما يستجد من مسائل معاصرة في كل زمان ومكان وخشية الله وحسن النظر في آياته والاعتبار بها وإدراك ما فصله الله منزلاً على رسوله وشهود وحدانيته سبحانه وتعالى.

قال الله عز وجل مبيناً أن العلماء هم الذين ينتفعون بالآيات الماثلة في الكون، وهم الذين يستشعرون عظمة الله وقدرته، فيخشونه فيهديهم الله، قال تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ

وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (فاطر: 27-28)، فالذين يستفيدون من اختلاف ألوان الثمار والجبال والناس هم العلماء، وهم الذين يخشونه حق خشيته، لأنهم العارفون به وبصفاته جل جلاله، وكلما كانت المعرفة للعظيم التقدير الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى، كانت المعرفة به أتم، والعلم به أكمل، وكانت هدايتهم كذلك أتم وأكمل، لذلك يمكن تقسيم هذا المبحث الى مطلبين هما:

المطلب الاول: التجديد المعرفي في القرآن من خلال دعوة النص القرآني إلى التفكر والتدبر

التجديد المعرفي في القرآن الكريم ينطلق خلال دعوة النص القرآني للعقل إلى التأمل والتفكر في آيات الله، وهو الوحي الإلهي الخالد للبشرية - بشكل يواكب حاجات الناس ويتلاءم مع متطلبات العصر، حتى " لا يغدو التفسير حبيس الأوراق والكتب وإنما ينطلق الإصلاح واقع الناس وتلبية حاجاتهم الدينية والنفسية"⁽¹⁾ ويصبح هاديا للمسلمين، بل وللبرية جمعاء، قال سبحانه: ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) الأعراف ((158)).

أن التجديد بشكل عام يعد مطلباً ملحا من متطلبات الحياة، وباباً من أبواب استمرارها، ولأجل هذا كان التجديد سنة مطردة وقانوناً لازماً في مسار الحضارة الإسلامية يقودها إلى النهوض بعد كل ركود، ولذلك فإن التجديد في مناهج فهم القرآن يعد مطلباً شرعياً وعقلياً تفرضه دواع كثيرة، ذلك أن القرآن الكريم أنزله الله تعالى لهداية البشرية في كل زمان ومكان، ومشكلات البشر تختلف باختلاف عاداتهم وتقاليدهم وبيئاتهم التي يعيشون فيها، وهو ما يفرض على علماء المسلمين النظر في هذا القرآن الذي هو منهج حياتهم قصد إيجاد حلول نافعة ولا شك أن هذا يمثل نوعاً من التجديد، كما أن القرآن الكريم قد حض في كثير من آياته على السير في الأرض والتدبر في الكون مع النظر في آثار الأمم والحضارات السابقة،

¹ . التجديد في التفسير، مادة ومنهاجا، الدكتور جمال أبو حسان ، كلية الشريعة - جامعة الزرقاء الأهلية الأردن، إهداء لمكتبة شبكة التفسير والدراسات القرآنية، www.tafsir.net ص 2

و الكل يعتبر ويتدبر ويتفكر بحسب ما أوتي من الطاقات، ولا شك أن في هذا اختلافا بينا بين الناس وفي هذا نمط من التجديد بين معتبر⁽¹⁾.

إن تفسير القرآن الكريم يمكن أن يتجدد بكل عصر في ضوء المستوى الحضاري الذي وصل إليه أهل ذلك العصر والزمان . ولا يمكن أن نوقف تفسير كلام الله تعالى عند عصر معين لأننا إن زعمنا ذلك، طعنا في خلود القرآن وخاتمته وعالميته وهيمته ، وعليه فإن المسلمين اليوم أحوج ما يكونوا إلى إحداث نقله هائلة في علم التفسير لأن التحديات التي تواجههم كبيرة وخطيرة، وكل ذلك بقصد مواكبة المسلمين المقتضيات العصر ومتطلبات الحضارة وخاصة الغربية، والتي فيها ما ينفع الإنسانية ولا يتعارض مع تعاليم الإسلام، {كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} ص (33).

والآيات الآمرة بالتدبر منها ما جاء على شيء مخصوص؛ كقوله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} النساء (82)

والأصل أن مرحلة التدبر تأتي بعد الفهم، إذ لا يمكن أن يطلب منك تدبر كلام لا تفهمه، وهذا يعني أنه لا يوجد في القرآن ما لا يفهم معناه مطلقاً، وأن التدبر يكون فيما يتعلق بالتفسير؛ أي أنه يتعلق بالمعنى المعلوم ، ويقرب من معنى التدبر التفكير والتذكر والنظر والتأمل والاعتبار والاستبصار، وقد وردت هذه المعاني في القرآن في مواطن⁽²⁾، كقوله تعالى: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) الروم (30)

((أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)) غافر ((57))، وتكرار دعوات مشابهة أخرى؛ فتوجيه المتلقي إلى النظر والتفكير في خلق الله لا يقتصر على مشاهدة الحوادث، بل يستلزم تحليل المعنى وبيان الحكمة والرؤية الكونية التي تقود إلى فهم أعمق للشرع والخلق، وتشكل بذلك عملاً معرفياً متجدداً في فكر الإنسان⁽³⁾.

¹ . ينظر: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، الدكتور محمد شحرور ، دار الاهالي للطباعة والتوزيع والنشر، الطبعة الاولى ، دمشق، ص 33

² . مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د .مسعود بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1427 هـ، ص 205

³ . التجديد في التفسير، مادة ومنهاجا، ص 2

وبهذا يتضح أن القرآن الكريم يرسّخ منهجاً معرفياً متجدّداً من خلال دعواته إلى التفكير والتدبّر، بحيث يصبح الفكر حاضراً في فهم المعنى، لا مجرد أداة تقليدية للحفظ أو التلقّي، ويُعد هذا من أبرز مظاهر التجديد المعرفي في النص القرآني.

المطلب الثاني: النصوص القرآنية الكاشفة عن البعد المقاصدي في التجديد المعرفي:.

المَقاصِدُ الْقُرْآنِيَّةُ: هي الغايات التي أرادها الله عز وجل في كتابه، أو هو (مراد الله عز وجل من كلامه)، أو: "الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد".⁽¹⁾

يمثّل البعد المقاصدي واحد من أهم المرتكزات الأساسية في البناء المعرفي للخطاب القرآني، إذ لم يأت القرآن الكريم بنصوص جزئية منقطعة عن غاياتها، بل صاغ أحكامه وتوجيهاته في إطار مقاصد كلية، تهدف إلى هداية الإنسان، وبناء وعيه، وتحقيق مصالحه في ضوء منهج رباني متوازن. ومن هنا يظهر التجديد المعرفي في القرآن بوصفه نابغاً من بنية النص ذاته، لا مفروضاً عليه من خارجه.⁽²⁾ ولما كانت ثمرة المقاصد تعم الأمة جميعاً، وتبين للناس صلاحية هذا الدين لكل عصر ومصر، وتظهر حكمة التشريع، وتبين للناس محاسن الإسلام، كان علماً عظيم الفضل جليل القدر، لا يُستغنى عنه ولا يُهمل.⁽³⁾

ويظهر البعد المقاصدي للنصوص القرآنية التي جاءت بصياغات عامة، تقرّر الغاية وتترك الأمر مفتوحاً لاجتهاد العقل المنضبط، بما يحقق التفاعل مع الواقع المتجدد. ومن ذلك قوله تعالى: ((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) البقرة ((179)) في ضمن هذا الخطاب ما هو كالجواب لسؤال مقدر: إن في إعدام هذه البنية الشريفة، وإيلام هذه النفس وإعدامها في عدم مقابلة إعدام المقتول؛ تكثير لمفسدة القتل، فلأية حكمة صدر هذا ممن وسعت رحمته كل شيء، وبهرت حكمته العقول فتضمن

¹. جامع المسائل والقواعد في علم الأصول والمقاصد، عبد الفتاح بن محمد مصيلحي، الناشر: دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع - المنصورة، مصر، الطبعة: الأولى، 1443 هـ - 2022 م، (123/4)

². ينظر: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص 34

³. جامع المسائل والقواعد في علم الأصول والمقاصد 208/4

الخطاب جواب ذلك بقوله: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ} وذلك لأن القاتل إذا توهم أنه يُقتل قصاصاً بمن قتله؛ كف عن القتل وارتدع، وأثر حب حياته ونفسه، فكان فيه حياة له ولمن أراد قتله.⁽¹⁾

ومن وجه آخر: وهو أنهم كانوا إذا قُتل الرجل من عشيرتهم وقبيلتهم قَتَلُوا به كل من وجدوه من عشيرة القاتل وحيّ وقبيلته، وكان في ذلك من الفساد والهلاك ما يعم ضرره، وتشتد مؤنته، فشرع الله تعالى القصاص، وأن لا يقتل بالمقتول غير قاتله، ففي ذلك حياة عشيرته وحيّ وأقاربه، ولم تكن الحياة في القصاص من حيث إنه قُتل، بل من حيث كونه قصاصاً، يؤخذ القاتل وحده بالمقتول لا غيره، فتضمن القصاص الحياة في الوجهين. فهو نص على حق الحياة وحفظ النفس.⁽²⁾

فهذا يدل على صلاحية النصوص القرآنية لكل زمان ومكان فهي ونصوص ثابتة تتضمن احكام مرنة تستوعب الحلول حتى للحوادث والنوازل المستجدة، بل وتضع الحلول امام العالم اجمع

((يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ، وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)) المجادلة ((12))

أي يرفع الله منازل المؤمنين في الدنيا والآخرة بتوفير نصيبهم فيها، ويرفع أيضا بصفة خاصة منازل العلماء درجات عالية في الكرامة في الدنيا، والثواب في الآخرة، فمن جمع الإيمان والعلم، رفعه الله بإيمانه درجات، ثم رفعه بعلمه درجات، فيرفع المؤمن بإيمانه أولا ثم بعلمه ثانيا.⁽³⁾

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل العلماء، منها حديث حسن رواه ابن ماجه عن عثمان رضي الله عنه: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء» فأعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن ابن عباس: خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك، فاختر العلم، فأعطي المال والملك معه.⁽⁴⁾

¹. ينظر: جامع المسائل والقواعد في علم الأصول والمقاصد (225/4)

². المصدر نفسه (226/4)

³. ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي [ت 1436 هـ]، دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991 م، (41/28).

⁴. سنن ابن ماجه ت الأرئووط، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (209 - 273 هـ)، المحقق: شعيب الأرئووط [ت 1438 هـ] - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، (4313)، (367/5)

يعتبر القرآن الكريم العلم والمعرفة أساساً للتجديد الفكري والمعرفي، لهذا يعتبرهما الوسيلة التي ترتقي بالإنسان فكرياً وروحياً، وتمكّنه من فهم الكون والحياة بأسلوب متجدد. فالعلم ليس هدفاً مجرداً، بل هو أداة لتحقيق التجديد المعرفي المقاصدي الذي يحرر الإنسان من الجمود الفكري ويمنحه بذلك القدرة على التفكير النقدي واستنباط الحلول للمشكلات المعاصرة.

((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ)) البقرة (170)

القرآن يحث الإنسان على عدم قبول الأمور بالعرف أو التقليد الأعمى، بل على مراجعتها والتفكير فيها، كما جاء في قوله تعالى: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا)) البقرة (170)) هذا النص يشير إلى ضرورة التمييز بين التقليد الواعي والتفكير النقدي، وهو عنصر أساسي في التجديد المعرفي، إذ يمنع الجمود ويشجع على إعادة النظر في الأفكار والممارسات بما يتوافق مع الحقيقة والواقع.

((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا)) أي للناس ومنهم كفار العرب، واليهود، على تحريم التقليد الأعمى، وعلى أنه يجب على المسلم وغيره أن ينظر على قدر طاقته وقوته في إثبات عقيدته وأمور دينه. والتقليد عند العلماء: قبول قول بلا حجة. وأما الاتباع: فهو الأخذ بقول الغير بعد معرفة دليله. ⁽¹⁾

وفرض العامي الذي لا يستطيع استنباط الأحكام من أصولها أن يسأل أهل العلم، ويمتثل فتوى الأعلام، لقوله تعالى: ((فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)) النحل 43

وأجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقائد، لأن الله ذم الكفار بتقليدهم آباءهم وتركهم اتباع الرسل في قوله: ((إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ)) الزخرف 23 ولأنه فرض على كل مكلف (بالغ عاقل) تعلّم أمر التوحيد والقطع به، والتعليم لا يحصل إلا من جهة القرآن والسنة النبوية .

ومثل الذين كفروا فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالذباب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نطق بها راعيها، أي دعاها إلى ما يرشدها، لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، بل إنما تسمع صوته فقط. ⁽²⁾

¹. ينظر: التفسير المنير (76/2).

². ينظر: التفسير المنير (76/2).

العقل هنا ليس هدفاً في ذاته، بل وسيلة لتوجيه السلوك واتخاذ القرارات الصائبة، مما يعكس بعداً مقاصدياً في التجديد المعرفي يقوم على ربط التفكير بالإنفاذ العملي والتغيير الواقعي.

المبحث الثالث / أهمية التجديد المعرفي للمجتهد في المسائل المعاصرة .

يمثل مفهوم التجديد الوحدة الأساسية لكل نظام معرفي ومنظومة فكرية، والتي من شأنها التعبير عن نظرية أو موقف أو أحد جوانب الفكر المستقيم، وينشأ هذا المفهوم نتيجة للدوافع النفسية وآليات التفكير والتوجه العقلي، إضافة لمقتضيات وحاجيات وظروف البيئة الخارجية.

أما فيما يخص التشريع الإسلامي فقد انزل الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد صل الله عليه وسلم شريعة ومنهج متكامل إلى قيام الساعة، وكانت في أحكامها منهجاً ربانياً كاملاً شاملاً لجميع جوانب حياة الناس، وصالحاً للتطبيق في كل زمان ومكان، ومهما اختلفت الظروف، أو تغيرت الأحوال؛ فمن خصائص شريعتنا الإسلامية أنها شريعة متجددة تنبض في أحكامها الحياة، ولا تخلق بتقادم الأيام. لذلك يمكن بيان أهمية التجديد المعرفي للفقهاء في الشريعة الإسلامية من خلال النقاط التالية:

أولاً/ اثراء الفقه الإسلامي بأحكام متجددة

احكام الشريعة الإسلامية هي الشريان الذي يمتد في جسد الانسان والذي من خلاله يستطيع الانسان المسلم ضبط تصرفاته ومعاملاته بما يتوافق مع الأوامر والنواهي اللالهية، لذلك كان لزاما على العلماء والفقهاء في كل عصر ان يبحثوا عن تجديد الرؤية في الموضوعات التي نتطرق إليها تجديداً ملتزماً بمحكمات الشريعة ومبادئها، وهذا ما يجعلنا مطالبين على نحو دائم بتجديد طريقة تناولنا لكثير من القضايا التي تشغل هذا الواقع المتجدد لأثراء الفقه الإسلامي بأحكام وتشريعات مستجدة، وتبسيط الضوء على جانب من جوانبه فهو يُستخدَم على مستويات عديدة وفي مجالات مختلفة، يعيننا منها في هذا المقال التجديد على الصعيد الفقهي؛ أي: (تجديد الفقه)، من خلال الاثرء¹.

ثانياً/ ضرورة تحول الاجتهاد

¹ من تجديد الفقه الى تجديد الفقيه ، المطرفي، 1432هـ

مع قيام الدولة الإسلامية، والتطورات الهائلة التي تشهدها البشرية في شتى مناحي الحياة، تتأكد ضرورة تفعيل الاجتهاد وترشيده أكثر، فأكثر ولأجل تفعيل الاجتهاد وترشيده لا بد من إحداث تحول في الاجتهاد على الصعيدين: الكمي والنوعي (الكيفي).

ومن أهم صور التحول في الاجتهاد هي ((تنمية مهارة التواصل مع الجماهير)) لأن التواصل الذي يكون من خلال الكتابة أو الحديث المباشر له مهارات يجب على المجتهد المعاصر إتقانها ومعرفتها في حوار مع الجماهير، ومن هذه المهارات التي يجب ان يمتلكها من يحاور الجماهير في الاحكام الشرعية المعاصرة هي:

1. في الوقت الذي كثرت فيه الشُّبه والتشكيك في الأحكام الشرعية فنحن بحاجة إلى لغة الحديث التي تعتمد أسلوب الإقناع بالأحكام إلى جانب التقرير العلمي المجرد، والتي تُبين محاسن التشريع الإسلامي وفلسفته في تقرير أحكامه، بل تتعدى ذلك إلى مقارنته مع أحكام الشرائع الأخرى حتى تظهر سماحة هذا الدين وتميُّزه عن غيره من الديانات. يقول ابن تيمية: «وإنما ننبه على عِظَم المصلحة في ذلك بياناً لحكمة الشرع؛ لأن القلوب إلى ما فهمت حكمته أسرع انقياداً، والنفوس إلى ما تطلَّع على مصلحته أعطش أكباداً»¹.

وربما كان من أخصر الطرق للإقناع - أو حتى الإحراج لمن لا يريد ذلك - أن يستعمل الخطاب لغة الأرقام والإحصائيات في تأييد بعض الأحكام الشرعية، أو أن يذكر بعض التجارب التي حصلت في بلاد أخرى حول بعض القضايا الشرعية.

2. نحن بحاجة في لغة الفقيه الجديد إلى لغة تراعي في حديثها البعد العالمي، وإن مراعاة هذا البعد يعني أن الفقيه لا يكفيه اعتماده على الرصيد الشعبي الذي يجده بين بني قومه، بل لا بد من حديث يستند إلى الأساس العلمي أكثر من استناده إلى الأساس الذاتي الذي يرجع لشخص الفقيه، ويُلمح ابن تيمية إلى

¹ الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، ص485

قريب من هذا المعنى؛ حيث يقول: «الاعتماد على الأجوبة العلمية يكون على ما يشترك الناس في علمه، لا يكون بما اختص بعلمه المجيب؛ إلا أن يكون الجواب لمن يصدقه فيما يخبر به»¹. ومن أجل هذا النوع من العالمية فإننا بحاجة إلى أن نعيد النظر في الأسلوب الذي يعتمد على (اجتماع الجيوش) والذي يجمع صحيح الاستدلال مع ضعيفه من باب تضافر الأدلة، ولنقتصر له أحواله الخاصة، ولنقتصر في الاستدلال على الاستدلالات الصحيحة، مع استبعاد ما لم يكن كذلك حتى لا يُشغَب عليها².

ثالثاً/ إعادة إحياء المنهج الإسلامي الوسطي المعتدل

الوسطية في الإسلام في مقاصد الشريعة الخمسة غاية مهمة وإساسية لتحقيق مصلحة الفرد والجماعة والأمة، لإيجاد التوازن والاعتدال لديمومة الأخذ بأحكام التشريع الإسلامي على مهج حسن ووضع مستقر فالتوسط في الأمور ينسجم مع إمكانيات البشر وقدراتهم وعطاءاتهم، ان الحياة الهادئة لا تصلح ولا تستقيم بغير التوسط والاعتدال³.

ولقد أرشد القرآن الكريم الى ظاهرة الاعتدال والتوسط والتوازن بين الأشياء بما يخدم المصلحة العامة ويرشد العقول الى الفهم الدقيق عنده اصدار الاحكام من قبل المجتهد، والممارسة القائمة على صحة الوجدان وقوة العزيمة والتمسك بالحق والتزام العمل الصالح هو سمة المجتمع المتحضر قال تعالى ((والعصر * ان الانسان لفي خسر * إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر *)) العصر ((3-1)).

¹ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، 1425 هـ - 2004 م، مجموع الفتاوى، ط1، السعودية: المدينة المنورة، ج4: ص232

² المطرفي، ياسر بن ماطر المطرفي، 1432 هـ، من تجديد الفقه الى تجديد الفقيه، د.ط، ص 17_ 18

³ قضايا الفقه والفكر المعاصر، الدكتور وهبة الزحيلي، ص588

النتائج

1. الاجتهاد عبارة عن أداة أقرها الله سبحانه وتعالى في مجال الفقه، ليتسنى للفقهاء، من خلال الإفادة منها في المصادر والمباني الرئيسية للاستنباط.
2. تجديد المعارف امر لا بد منه للفقهاء ليستطيع من خلاله فهم الواقع المحيط بالنازلة والمستفتي.
3. القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامي فلا بد من الرجوع اليه لمعرفة ضوابط التجديد من خلال آياته.
4. بيان مرونة وصلاحيّة التشريع الإسلامي بأصولها وفروعها يكون من خلال التجديد المعرفي للفقهاء الذي يدعم ديمومة هذه التشريعات والاحكام وأنها صالحة لكل زمان ومكان.
5. لا بد من مراقبة ومتابعة هذا التجديد حتى لا يخرج عن أصول التشريع وموروثه الفقهي وينضبط .